ساعة وساعة

٨

عاد إلي كيس دراهمي

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

كرَمٌ... لا مَثِيْلَ لَهُ!!

أَعْلَنَتْ إِدَارَةُ المَدْرَسَةِ عَنْ مُسَابَقَةٍ لانْتِقَاءِ أَفْضَلِ ثَلاثِ قِصَصٍ مِنْ قِصَصِ التُّرَاثِ.

وَتَقَدَّمَتِ الطَّالِبَاتُ بِقصَصٍ كَثِيْرَةٍ ، وَكُوِّنَتْ لِذَلْكَ لُجْنَةٌ مِنَ المُخْتَصِّيْنَ ، فَقَامُوا بِغَرْبَلَةِ القِصَص ، وَانْتَقَوْا مِنْهَا أَفْضَلَها.

وَكَانَتِ الفَائِزَةُ الأُوْلَىٰ: (تَغْرِيْد) وَكَانَتْ القِصَّةُ الَّتِيْ قَدَّمَتْهَا حِكَايَةً ذَاتَ مَغْزَىً ، رَوَاهَا الإِمَامُ (الوَاقِدِيُّ) قَالَ:

كَانَ لِيْ صَدِيْقَانِ: أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي

هَاشِمٍ ، وَالآخَرُ نَبطِيٌّ[1] ، وَكُنَّا ثَلاثَتُنَا كَشَخْصٍ وَاحِدٍ.

وَدَارَ الزَّمَنُ دَوْرَتَهُ. وَذَاتَ يَوْمٍ أَلَمَّتْ بِيْ ضَائِقَةٌ شَدِيْدَةٌ ، وَحَضَرَ العِيْدُ ، فَقَالَتِ امْرَأتِي: أَمَّا نَحْنُ أَنَا ، وَأَنْتَ؛ فَنَصْبِرُ عَلَىٰ الشِّدَّةِ ، والضِّيْقِ. وَأَمَّا صِبْيَانُنَا هَؤُلاَءِ الصِّغَارُ فَقَدْ قَطَّعُوا قَلْبِي رَحْمَةً لَهُمْ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُم يَرَوْنَ صِبْيَانِ جِيْرَانِنَا؛ وَهُمْ يَلْبَسُون أَفْخَرَ الثِّيَابِ ، وَيَأكُلُونَ أَطَايِبَ الطَّعَامِ ، وَيَذْهَبُوْنَ إِلَىٰ أَمَاكِنِ اللَّهْوِ وَالمَرَحِ... فَيُحِسُّوْنَ بِالعِيْدِ... وَأَوْلادُنَا يُعَانُونَ الأَمَرَّيْنِ... فَاعْمَلْ عَلَىٰ أَنْ تَتَدَبَّرَ مَالاً بِسُرْعَةٍ

---

(١) أَيْ: مِنَ الأَنْبَاطِ ، وَهُمْ قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٌ قَدِيْمَةٌ كَانَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ جَنُوبي بِلادِ الشَّام (فِي وَادِيْ مُوْسَىٰ) وَعَاصِمَتُهُم الرَّقِيْمُ ، وَتُعْرَفُ اليَوْمَ بالبَتْرَاءِ.

كَيْ نَشْتَرِيَ لَهُمْ ثِيَاباً... وَنَجْعَلَهُمْ يَفْرَحُوْنَ بِالعِيْدِ.

فَفَكَّرْتُ في المَسْأَلَةِ... وَقَرَّرْتُ أَنْ أُرَاسِلَ أَصْدِقَائي ، أَطْلُبُ مِنْهُمُ المُسَاعَدَةَ. وَبِالْفِعْلِ: كَتَبتُ لِصَدِيْقي الهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ المُسَاعَدَة. وَما هِيَ إلا أيَّامٌ حَتَّىٰ أَرْسَل إليَّ كِيْساً مَخْتُومَاً. ذُكِرَ: أَنَّ فِيْهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

...وَلَمَّا هَمَمْتُ بِفَتْحِ الكِيْسِ إِذَا بِرسَالَةٍ تَصِلُني مِنْ صَدِيْقي الآخَرِ النَّبْطِيِّ ، وَلمَّا قَرَأْتُ مَا فِيْهَا؛ وَجَدْتُ: أَنَّهُ يَسْأَلُني المُسَاعَدَة العَاجِلَةَ!

فَلَمْ أَتَرَدَّد لَحْظَةً وَاحِدَةً ، فأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الكِيْسَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيَّ كَمَا هُوَ.

وَخَرَجْتُ إِلىٰ المَسْجِدِ ، وَأَقَمْتُ لَيْلَتِيْ مُتَجَنِّباً أَنْ أُوَاجِهَ امْرَأَتي بِحَقِيْقَةِ مَا حَدَثَ!

وَفي الصَّبَاحِ عُدْتُ إِلىٰ البَيْتِ ، وَلمَّا أَخْبَرْتُهَا بِمَا حَصَلَ؛ اسْتَحْسَنَتِ الأَمْرَ ، وَدَعَتِ اللهَ بالتَّيْسِيْرِ؛ وَالبَرَكَةِ.

....وَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ؛ إِذْ قَرَعَ البَابَ قَارِعٌ ، فَفَتَحْتُ البَابَ فَإِذَا بِيْ أَرَىٰ صَدِيْقِي الأَوَّلَ الهاشِمِيَّ.

وَرَحَّبْتُ بِهِ... وَأَدْخَلْتُهُ إِلىٰ البَيْتِ ، وَإِذَا بِهِ يَحْمِلُ بِيَدِهِ الْكِيْسَ نَفْسَهُ الَّذِيْ كَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ لِيْ ، وَأَرْسَلْتُهُ أَنَا إِلىٰ صَدِيْقِنَا النَّبْطِيِّ!!

نَظَرَ إِلَيَّ صَدِيْقِي الهَاشِمِيُّ ، ثُمَّ قَالَ: أُنَاشِدُكَ اللهَ! إِلا مَا حَدَّثْتَنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِهَذَا الْكِيْسِ الَّذِيْ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكَ!

فَلَقَدْ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ تَطْلُبُ مَالاً ، وَأَنَا لا أَمْلِكُ عَلىٰ الأَرْضِ إِلا مَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، وَقَدْ

أَرْسَلْتُ إِلَىٰ صَدِيْقِنَا النَّبْطِيِّ أَسْأَلُهُ المُسَاعَدَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيَّ بِكيْسي الَّذِي أَرْسَلْتَهُ أَنْتَ إِلَيْهِ ، وَخَتْمي مَا يَزَالُ عَلَيْهِ!!

...وَأَصَابَتْنِيْ دَهْشَةٌ كَبِيْرَةٌ جِدَّاً ، فَأَخْبَرْتُ صَدِيْقي الهَاشِميَّ بِمَا جَرَىٰ مَعِي... فَتَبَسَّم ، وَقَالَ: تَدَبَّر الأَمْرَ وَحْدَكَ.

...فَقُمْتُ إلى الكِيْسِ وَفَتَحْتُهُ. وأَعْطَيْتُ امْرَأتيْ مِئَةَ دِرْهَمٍ ، واقْتَسَمْتُ مَا تَبَقَّىٰ مَعَ صَدِيْقَيَّ الآخَرَيْنِ ـ الهَاشِمِيِّ ، والنَّبطِيِّ ـ فَحَصَلَ كُلٌّ مِنَّا علىٰ ثَلاثِمئَةِ دِرْهَمٍ.

...وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ وَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ الخَلِيْفَةِ (المأمُوْنِ) فاسْتَدْعَانِيْ إِلىٰ قَصْره ، وطَلَب مِنِّي أنْ أَرْوِيَ لَهُ مَا جَرَى مَعِي فَفَعَلْتُ.

فَأَمَر لَنَا بِسَبْعَةِ آلافِ دِيْنَارٍ ، مِنْهَا أَلْفٌ

لِلْمَرأَةِ ، وأَلْفَانِ لِكُلِّ وَاحدٍ منَّا...!!!

شَمْعَةُ عُمَرَ

وَكَانَ فِي التَّرتِيْب الثَّانِيْ القِصَّةُ الَّتي قَدَّمَتْهَا (رُفيْدَةُ) ، ومُلخصَها: وَفَدَ عَلَىٰ الخَلِيْفَةِ (عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ رَسُوْلٌ مِنْ إِحْدَىٰ الوِلايَاتِ التَّابِعَةِ للدَّولةِ الإِسْلاميَّةِ.

فَلَمَّا دَخَلَ الرَّسُولُ؛ أَمَر الخَلِيْفَةُ عُمَرُ بِشَمْعَةٍ غَلِيْظَةٍ ، فَأُوْقِدَتْ.

وَرَاحَ الخَلِيْفَةُ يَسْأَلُ الرَّسُوْلَ عَنْ حَالِ أَهْلِ البَلْدَةِ ، وعَنْ سِيْرَةِ الوَالِي وعُمَّالِهِ ، وَعَنِ الغَلاءِ وَالأَسْعَارِ ، وَعَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ.

وَكان الرَّسُوْلُ يُجِيْبُ عَنْ أَسْئِلَةِ الخَلِيْفَةِ عُمَرَ ، وَلمَّا فَرَغَ الخَلِيْفَةُ مِنْ مَسَائِلِه ، أرادَ

الرسُولُ أَنْ يَسْأَلَ ، فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! كَيْفَ حَالُكَ؟ وَكَيْفَ عِيَالُكَ؟ وَكَيْفَ رِضَاكَ عَنْ فُلانٍ..؟ وَكَيْفَ حَالُ الأَمِيْرِ الفُلانيِّ و...؟!

فَقَامَ الخَلِيْفَةُ عُمَرُ إِلىٰ الشَّمْعَةِ ، فَنَفَخَ عَلَيْهَا ، وَأَطْفَأَهَا ، ثُمَّ نَادَىٰ غُلامَهُ قَائلاً: يَاْ غُلامُ! عليَّ بِسرَاجٍ.

ذَهَبَ الغُلامُ ثُمَّ عَادَ وبِيَدِهِ فَتِيْلَةٌ لا تَكَادُ تُضِيءُ....!!

وَعَجِبَ الرَّسُوْلُ مِنْ تَصَرُّفِ عُمَرَ. وَقَالَ في نَفْسِهِ: لِمَاذَا قَامَ الخَلِيْفَةُ إلى الشَّمْعَةِ الغَلِيْظَةِ فَأَطْفَأَهَا ، وَوَضَعَ بَدلاً عَنْهَا هَذِهِ الفَتِيْلَةَ؟

ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! لَقَدْ رَأَيْتُ أَمْرَاً حَيَّرَني.

فَابْتَسَم الخَلِيْفَةُ عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا! إنَّ الشَّمْعَةَ الَّتي أطْفَأْتُها هِيَ مِنْ أَمْوَالِ بَيْتِ المُسْلِمِيْنَ ، وَلِذَلِكَ تَرَكْتُهَا عِنْدَمَا كُنْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ أُمُوْرِ المُسْلِمِيْنَ ، وحَوَائِجِهِمْ ، فَلَمَّا صِرْتَ تَسْأَلُني عَنْ نَفْسِي وَعَنْ أَوْلَادِيْ؛ أطْفَأْتُ الشَّمْعَةَ ، وأَوْقَدْتُ الفَتِيْلَةَ... فَأَنَا لا أَمْلِكُ مِنْ مَالِهِمْ شيئاً.. وسَيُحَاسِبُني اللهُ عَنْ كُلِّ مَا أُنْفِقُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ!!

في رِحَابِ البَادِيَةِ

أَمَّا المَرْكَزُ الثَّالِثُ؛ فَقَدْ حَازَتْهُ الطَّالِبَةُ (زَيْنَبُ) ، وَذَلِكَ عَلىٰ القِصَّةِ الَّتِيْ قَدَّمَتْهَا ، وَمُلَخَّصُهَا مَا يَلِي:

خَرَجَ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ) في جَمَاعَةٍ مِنْ خَوَاصِّهِ في رِحْلَةِ صَيْدٍ... واعْتَرَضَهُمْ قَطِيْعُ ظِبَاءٍ ، فَتَفَرَّقُوا في طَلَبِهِ. وانْفَرَدَ (مَعْنٌ)

خَلْفَ ظَبْيٍ حتَّىٰ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ؛ نَزَلَ فَذَبَحَهُ ، فَرَأَىٰ شَيْخاً مُقْبِلاً مِنَ البَرِّيَّةِ عَلىٰ حِمَارٍ ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ وَإِلىٰ أَيْنَ؟

قَالَ: أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ لَهَا عِشْرُوْنَ سَنَةً مُجْدِبَةً ، وَقَدْ أَخْصَبت في هٰذِهِ السَّنَةِ.

فَزَرَعْتُهَا في غَيْرِ أَوَانِهَا.

فَقَالَ (مَعْنٌ): وَمَاذَا زَرَعْتَهَا يَا أَعْرَابِيُّ؟!

قَالَ: زَرَعْتُهَا قِثَّاءً. وَجَمَعْتُ مِنْهَا مَا اسْتَحْسَنْتُهُ.

قَالَ (مَعْنٌ): وَإِلىٰ مَنْ تَحْمِلُ هَذَا القِثَّاءَ؟

قَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَقْصِدُ (مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ) لِكَرَمِهِ المَشْكُورِ ، وفَضْلِهِ المَشْهُوْرِ ، ومَعْرُوْفِهِ المَأْثُوْرِ ، وَإِحْسَانِهِ المَوْفُوْرِ.

ابْتَسَمَ (مَعْنٌ) وَقَالَ: وَكَمْ أَمَّلْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: أَلْفَ دِيْنَارٍ!

قَالَ (مَعْنٌ): فَإِنْ قَالَ لَكَ: كَثِيْرٌ! قَالَ: أُوَافِقُ عَلَىٰ الخَمْسِمئة!

قَالَ (مَعْنٌ): فَإِنْ قَالَ لَكَ: كَثِيْرٌ! قَالَ: أَرْضَىٰ بالثَّلاثِمِئَةِ.

قَالَ (مَعْنٌ): فَإِنْ قَالَ لَكَ: كَثِيرٌ! قَالَ: أَقْبَلُ بالمِئَةِ.

فَمَا زَالَ (مَعْنٌ) يُفَاوِضُهُ حَتَّىٰ قَالَ: لاَ أَقَلَّ مِنْ الثَّلاثِيْنَ!

قَالَ (مَعْنٌ): فَإِنْ قَالَ: ذَلِكَ كَثِيْرٌ مَاذَا تَفْعَلُ يَا أَعْرَابِيُّ؟!

قَالَ: أُدْخِلُ قَوَائِمَ حِمَارِيْ فِي عَيْنِهِ، وَأَرْجِعُ إِلىٰ أَهْلِيْ خَائِبَاً.

فَضَحِكَ (مَعْنٌ) وَتَرَكَ الأَعْرَابيَّ ، وَلَحِقَ بِأَصْحَابِهِ... وَلمَّا نَزَلَ في مَنْزِلِهِ قالَ لِحَاجِبِه: إِذَا أَتَاكَ شَيْخٌ عَلَىٰ حِمَارٍ؛ وَمَعَهُ حُمُوْلَةُ قِثَّاءٍ؛ فَادْخُلْ بِهِ عَلَيَّ.

وبَعْدَ قَلِيْلٍ وَصَلَ الأعْرَابِيُّ ، وَسَأَلَ الحَاجِبَ عَنْ سيِّد البَيْتِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَىٰ (مَعْنٍ) فَلَمْ يَعْرِفْهُ لِهَيْبَتِهِ ، وجَلالِهِ ، وَكَثْرَةِ حَشَمِهِ ، وخَدَمِهِ.

وَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ؛ سَأَلَهُ (مَعْنٌ): مَا الَّذي أَتىٰ بِكَ يَا أَخا العَرَبِ؟

أَجَابَ الأَعْرَابِيُّ: أَمَّلْتُ فَضْلَ الأَمِيْر ، وَأَتَيْتُهُ بِقِثَّاء في غَيْرِ أَوَانٍ!

فَقَالَ: كَمْ أَمَّلْتَ فِيْنَا؟

قَالَ: أَلْفَ دِيْنَارٍ!

فَقَالَ (مَعْنٌ): ولٰكِنَّ الأَلْفَ كَثِيْرٌ!

فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ في نَفْسِهِ: وَاللهِ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ شُؤْمَاً عليَّ.

ثُمَّ قَالَ: أُوَافِقُ عَلىٰ الخَمْسمِئَةِ ، فَقَالَ (مَعْنٌ): كَثِيْرٌ!

ثُمَّ مَا زَالَ بِهِ إلىٰ أَنْ قَالَ: خَمْسِيْنَ دِيْنَاراً. فَقَالَ لَهُ: كَثِيْرٌ!

فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لاَ أَقَلَّ مِنَ الثَّلاثِيْنَ.

عِنْدَئِذٍ ضَحِكَ (مَعْنُ بِنُ زَائِدَةَ).. فَعَلِمَ الأَعْرَابيُّ: أَنَّهُ صَاحِبُهُ ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! إِنْ لَمْ تُجِبْ إلى الثَّلاثِيْنَ فالحِمَارُ مَرْبُوطٌ بِالبَابِ...!!

فَضَحِكَ (مَعْنٌ) حَتَّىٰ اسْتَلْقَىٰ عَلَىٰ

فِرَاشِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِوَكِيْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِ صَدِيْقَنَا الأَعْرَابِيَّ: أَلْفاً ، وخَمْسَمِئَةٍ ، وَثلاثمِئَةٍ ، وَمِئَةً وخَمْسِيْنَ ، وثَلاثِيْنَ ، وَدَع الحِمَارَ مَكَانَهُ.

وَحَمَل الأَعْرَابِيُّ الدَّرَاهِمَ ، وَخَرَجَ مِنْ مَجْلِسِ (مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ) وَهُوَ يَقُولُ: حَقّاً إِنَّ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ لاَ مَثِيْلَ لَهُ بِالْكَرَمِ ، والجُوْدِ.

في حَفْلَةِ تَكْرِيْمِ الفَائِزِيْنَ

وَقَدَّمَتْ إِدَارَةُ المَدْرَسَةِ جَوَائِزَ لِكُلٍّ مِنْ (تَغْرِيْدَ ، وَرُفَيْدَةَ ، وَزَيْنَبَ) ، بَيْنَمَا قُدِّمَ لِبَقِيَّةِ المُشَارِكَاتِ جَوَائِزَ رَمْزِيَّةً تَشْجِيْعِيَّةً.

وَكَانَتِ الخَاتِمَةُ كَلِمَةً قَصِيرةً لِمُدِيْرَةِ

المَدْرَسَةِ ، شَكَرَتْ فِيْهَا المُشَارِكَاتِ في هَذَا النَّشَاطِ الثَّقَافِيِّ ، وَوَعَدَتْ بِأَنْ تَكُوْنَ هُنَاكَ نَشَاطَاتٌ أُخْرَى.

والحَمد للهِ ربِّ العَالمِيْنَ

* * *